Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 31/ No. 6/ 2023 المجلد ٣١/ العدد٦/ ٢٠٢٣

حقوق الإنسان في المغرب الأوسط في عصر الدولة الزيانية

عباس كريم عبد

قسم التأريخ/ كلية التربية الاساسية/ جامعة بابل

basic_abasskareem@uobbylon.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ١٥/ ٥/ ٢٠٢٣ **تاريخ قبول النشر:** ٢٩/ ٥/ ٢٠٢٣ **تاريخ نشر البحث:** ١٥/ ٦/ ٢٠٢٣

المستخلص:

اعتمد البحث منهجية علمية بتفسير العلاقة بين حقوق الإنسان وطبيعة الحياة السياسية في المغرب الأوسط في عصر الدولة الزيانية، وسعى إلى دراسة متكون الصراعات السياسية والعسكرية التي أنتجتها الحياة الخاصة للمجتمع المغربي وأثرها على تطبيق حقوق الإنسان فقد تبنى البحث في أطاره النظري موضوع حقوق الإنسان في المغرب الأوسط بوصفه متغيراً مفسراً مما تناوله البحث في فقراته المختلفة واختيار عدد من مكونات وطبقات المجتمع المختلفة لمعرفة علاقة الارتباط والأثر بين مفهوم حقوق الإنسان والحياة السياسية والاجتماعية في ذلك المجتمع، وعلى ضوء نتائج التحليل والتفسير المنطقي لمجريات الحياة السياسية في عصر الدولة الزيانية فقد توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والحقائق التي أظهرت الخصائص والمميزات التي حددت وأبرزت ملامح الحياة العامة في مختلف مجالاتها في المجتمع المغربي.

ولقد حاول الباحث من استعراضه لمتغيرات البحث وفقراته إلى تبيان الصورة الحقيقية والواقعية التي كانت سائدة آنذاك في الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها المجتمع المغربي في عصر الدولة الزيانية والتي توالت على حكمها مجموعة من السلاطين والأمراء والملوك لتصف الفلسفة والأيديولوجية التي يؤمن بها أولئك السلاطين وانعكاسها على مجرى الحياة في مختلف المجالات وخاصة في ما يتعلق بإشاعة الأجواء وفسح المجال أمام مكونات المجتمع في مختلف أطيافها لممارسة حقوقهم المدنية والسياسية بخاصة التي جاء بها الإسلام والتعبير عن تلك الحريات في مجال ممارسة الحياة العامة.

الكلمات الدالة: حقوق الإنسان، المغرب، الزيانية، المجتمع، الطبقات

Human Rights in Al-Maghrib Al-Awsat during the Zayani State Era

Abbas Kream Abed

History Department/ Essential Breeding's College / Babel University

Abstract:

The research adopted a scientific methodology by explaining the relationship between human rights and the nature of political life in the central Maghreb in the era of the Zayani state. In the Middle Maghreb as a variable explained through what has been The research dealt with it in its various paragraphs, and a number of different components and classes of society were selected to find out the relationship of correlation and impact between the concept of human rights and the political and social life in that society, and in the light of the results of the analysis and logical interpretation of the course of political life in the era of the Zayani state, a set of conclusions and facts that It showed the characteristics and characteristics that defined and highlighted the features of public life in its various fields in Moroccan society.

The researcher tried, through his review of the research variables and its paragraphs, to show the real and realistic picture that prevailed at the time in light of the political and social conditions that Moroccan

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

society lived through in the era of the Zayani state, which was ruled by a group of sultans, princes and kings to describe the philosophy and ideology that those sultans believed in and its reflection On the course of life in various fields, especially with regard to spreading the atmosphere and opening the way for the various components of society to exercise their civil and political rights, especially those brought by Islam, and to express those freedoms in the field of practicing public life.

Key words: Human rights, Morocco, Zayani, Society, Layers

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين تعاظم ملكوته فاقتدر، وتعالى جبروته فقهر وأعز من شاء ونصر ورفع أقواماً وخفض أقواماً، فسبحانه الذي لا يرى بالبصر ويستدل عليه بالآيات والعبر، وخلق كل شيء بقدر، والصلاة والسلام على الأتم الأنو الأكمل الأزهر المشرق المضيئ ولد عدنان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

كان لزاماً على كل من تعاقب على حكم الدولة المغربية سواء من الادارسة أو المرابطين أو الموحدين أو الزيانيين أو المرينيين وغيرهم أن يلتزموا بأحكام الشريعة الإسلامية بغض النظر عن منظومة الصراعات السياسية والعسكرية لذلك لقيت الحياة الخاصة بالمجتمع المغربي عناية حيوية وشاملة نظراً للاهتمام الذي لقيته من السلاطين والأمراء الذين تعاقبوا على حكم المغرب العربي الإسلامي وخصوصا الدولة الزيانية، فالحضارة الإسلامية في العهد الزياني بالمغرب الأوسط لها أهمية خاصة لأنها شهدت نهضه علمية وثقافية وازدهرت في المساجد والمدارس والمارستانات إلى جانب أعمال الخير والمبرات والإحسانات المتنوعة وبذلك رفعت من المستوى المعيشي لها، وأعطت دروسا في القيم والتضامن والتلاقي والتعاون والتآزر سواء من السلاطين والأمراء أم من أهل البر والإحسان في المجتمع.

ولما انتقلت السلطة إلى بني زيان وسيطروا على بلاد المغرب الأوسط أخذت الدولة على عاتقها رعاية الفئات الضعيفة وحمايتها وخاصة أن ما تقوم به وتدعوا اليه هو من صلب الشريعة الإسلامية وحملوا على أكتافهم مسؤوليه إعطاء الحقوق الاجتماعية ودعت الفتات الغنية والمقربة من السلطة بالمشاركة والمساندة، وبذلك أخذت الدولة الزيانية على عاتقها المساهمة في مختلف الجوانب التي تهم المجتمع خاصة الجانب الديني فضلاً عن الجوانب الأخرى التي لها علاقة ومساس بحياة الإنسان وحقوقه، ولذلك قام بنو زيان ببناء المساجد والزوايا التي كانت موضع استقطاب الناس دينياً ودنيوياً، وأعطى الزيانيون اهتماماً بالجانب الفكري والعلمي والثقافي الذي يعتبر سراجاً وهاجاً للأمة كونه يعد أداة للمعرفة والتقدم والرقي، وصولاً إلى الجانب الصحي الذي خصته الدولة الزيانية بعناية واهتمام لما له من دور بارز في حماية صحة مواطنيها، فأنشأت لذلك المارستانات للتطبيب والتداوي والعلاج من الامراض، وساعدت الأموال على أن تصل إلى الدولة من الأوقاف والأحباس والصدقات المتنوعة، الاعتناء بالفئات الضعيفة كالشيوخ واليتامى والأرامل والسجناء وذوي الاحتياجات الخاصة.

دعا الإسلام أفراد المجتمع إلى التعاون والتكافل بل وجعلها حقوقاً على البعض من ذوي المال والغنى، فأخرج منهم حق المسكين والفقير والمعوز، فالأصل في المجتمع أن المسلم يعمل على فعل الخير والبر والإحسان

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وإخراج ما الزم به الإسلام من حقوق والمتمثلة في الزكاة والصدقات والوقف والكفارات والنذور والهبات وتبرعات الدولة وغيرها، فالموارد المالية ركيزة أساسية للنهوض بالإنسان وإعطاء حقوقه.

وهكذا جاء هذا البحث لتسليط الضوء على واقع حقوق الإنسان وأهميته في المغرب الأوسط في عصر الدولة الزيانية، فقد تناول البحث في فقراته وموضوعاته المختلفة حقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والدينية في بلاد المغرب الأوسط فضلاً عن حقوق الإنسان في الحياة السياسية.

وتوصل البحث إلى أهمية حقوق الإنسان وما أحدثه الإسلام من تغيير في واقع الحياة العامة في بلاد المغرب ونيل السكان حقوقهم وعلى مختلف فئاتهم وطباقاتهم الاجتماعية.

وقد اعتمد البحث على جملة من المصادر تنوعت بين الأصيلة منها والحديثة وكان لبعضها فائدة كبيرة لا غنى عنها وللبعض الآخر فائدة ثانوية وقد تنوعت اختصاصات تلك المصادر فمنها كتب التاريخ السياسي والحضاري والاجتماعي فضلاً عن كتب الجغرافية وعدد من المراجع والدراسات الحديثة.

أولاً: التعريف بالدولة الزيانية:[*]

ظهرت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط[١،ص٣٨][**] بعد سقوط الدولة الموحدية عقب هزيمتهم في موقعة العقاب[٢،ص١٣٧]،[***] بالأندلس سنة (٦٢٩ه/١٢١٢م) فكانت هذه الهزيمة بداية لضعف وانهيار الدولة الموحدية التى كانت تحكم بلاد المغرب والاندلس، وعلى أثر ذلك بدأت بوادر الانفصال عن حكم الموحدين تظهر في بلاد المغرب العربي الذي تقاسمته ثلاث قوى، فظهرت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية (دولة بني عبد الواد) بالمغرب الأوسط، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى[٣،ص١٣٩].

لقد مرت الدولة الزيانية بمراحل عديدة حيث بدأت مرحلة التأسيس سنة (٦٢٧ه/١٢٣٠م) بدخول بني عبد الواد إلى مدينة تلمسان فكانت هذه الخطوة الأولى نحو تأسيس دولتهم وكانت بقيادة جابر بن يوسف وبوفاته ولى بعده ابنه الحسن سنة (٦٢٩ه/١٢٣٢م) ثم إلى أخيه عثمان سنة (٦٣٠ه/١٢٣٣م)، ثم انتقلت إلى ابن عمه زيان بن زيان سنة(٦٣١ه/١٢٣٣م) وبعد وفاته سنة ٦٣٣ه/١٢٣٤م) انتقلت السلطة إلى أخيه يغمراسن بن زيان الذي أعلن الاستقلال بالحكم فتأسست بذلك الدولة الزيانية مع اعترافها الرمزي بالدولة الموحدية[٤،ص١٦] .

دخلت الدولة الزيانية في صراعات كثيرة مع الموحدين من جهة ومع الدولة الحفصية والدولة المرينية من جهة أخرى، وكان صراعهم مع المرينيين هو الأقوى الي أنتهي بسيطرة المرينيين على تلمسان عاصمة الزيانيين سنة(٧٣٧ه/١٢٧م) على يد أبي الجسن المريني، ثم استطاع الأخوان أبو سعيد وأبو ثابت استعادة تلمسان من حكم المرينيين سنة(٧٤٩ه/١٢٨٢م) وطردهم منها، إلا أن هذه السيطرة لم تستغرق طويلاً فقد قام السلطان

---

[*] هي سلالة بربرية حكمت في غرب الجزائر ويرجع أصلهم إلى بني عبد الواد أو زيان.

[**] المغرب الأوسط: أحد أقسام بلاد المغرب العربي ويمتد من الحدود الغربية لمدينة بجاية شرقًا حتى وادي ملوية(ما يعادل بلاد الجزائر حالياً) غربا وقاعدته مدينة تلمسان في القرن السابع الهجري.

[***] معركة بين المسلمين والقتاليين دارت دائرتها على المسلمين إذ خسروا فيها خسارة كبيرة في عهد الخليفة الناصر.

[****] مدينة تقع في الشمال الغربي من الجزائر أسست في القرن الرابع الميلادي على يد الإمبراطورية الرومانية التي تعني المراعي والأشجار وهي لؤلؤة المغرب العربي.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المريني أبو فارس عثمان(١٣٨٤-١٣٨٦م) باستعادة تلمسان من جديد وقتل أميرها أبي سعيد الزياني، وحكم بنو مرين تلمسان لمدة سبع سنوات حتى قام السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني(٧٦٠هـ- ٧٩٢هـ) بحملة استطاع بها السيطرة على تلمسان وبذلك أصبحت في حكم بني عبد الواد مرة أخرى، وكانت هذه الحملة بإيعاز من الحفصيين وبمساعدة منهم فضلاً عن بعض قبائل المغرب الأوسط[٥،ص٤٣] .

لم تكن حدود الدولة الزيانية ثابتة ومستقرة بل كانت تتقلص حيناً وتتسع احياناً أخرى بحسب قوة واستعداد بنو عبد الواد عسكرياً واستقرارهم أمنياً ومدى انسجام القبائل وتقديم الطاعة والولاء لهم، حيث تمكن يغمراسن بن زيان من توسيع دولته ووصولها غرباً وشرقاً، واستمر الحال في عهد خلفائه الذين اهتموا أيضاً بتوسيع حدود دولتهم على حساب الحفصيين لاسيما في عهد عثمان بن يغمراسن وأبي حمو الأول وابنه ابن تاشفين حيث تمكنوا من الوصول إلى بجاية وبلاد الزاب شرقاً كما امتدت حدودها من البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن أفريقيا جنوب الصحراء، وعلى الرغم من تعرض الدولة الزيانية من هجمات وغزوات من المرينيين والحفصيين إلا أن الدولة الزيانية ظلت محافظة على حدودها هذه طوال وجودها في المغرب [٤،ص١٦٧].

والمغرب الأوسط أو الجزائر حالياً منطقة مأهولة بالسكان منذ عهود قديمة وقد كان الأمازيغ[٤، ص١٧٨] أول من عمر هذه البقاع من الأرض، والقبائل البربرية التي استطونت الجزائر متفرعة من ثلاثة شعوب عظيمة صنهاجة وكتامه وزناتة[٤،ص١٨]، وعندما وصل الإسلام للجزائر ودخل العرب الفاتحين بلاد المغرب العربي اختلطوا بالبربر وامتزجوا بعضهم ببعض فتصاهروا وتساكنوا في المدن والضواحي فضلاً عن نزوح بعض القبائل العربية إلى الجزائر من بني هلال وبني سليم[٦، ص١٨٠]،(*) واستقرت بضواحي العاصمة الزيانية وكانت معيشتها معيشة الرحل.

لقد كان مجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني يتكون من الأمازيغ المنحدرين من قبيلة زناته ومن أشهرهم مغراوه وبنو يفرن وبنو عبد الواد وبنو مرين وبنو راشد وقد اختلفت سبل عيشهم ما بين الزراعة والرعي وينتشرون في الجبال والسهول العليا والصحراء[٧،ص٦٥] .

وتعود تسمية الزيانيين ببني عبد الواد إلى جدهم عابد الوادي، وكانوا عبارة عن قبائل رحل يجوبون الصحراء بحثاً عن المراعي ما بين سجلماسة(**)[٨،ص١٩٣]ومنطقة الزاب بافريقية[٤،ص١٨٦].

وهكذا كانت صفة سكان المغرب الأوسط في العهد الزياني كانوا مزيجاً من كل ما سبق، فضلاً عن المهاجرين الاندلسيين، وقد استقر عدد كبير منهم في تلمسان، بالاضافة إلى بعض المجموعات اليهودية التي يعود تواجدها في المغرب الأوسط إلى ما قبل الفتح الإسلامي، وأخرى نازحة من الأندلس هروباً من الاضطهاد

* بنو هلال وبنو سلىم: قبيلتان عربيتان من القبائل العربية التي استوطنت الصعيد المصري واستدعاهم الوزير العبيدي أبو القاسم الى بلاد المغرب ورغبهم في ذلك لأسباب سياسية.

* * سجلماسة مدينة قديمة كانت واقعة في ناحية تافيلالت على بعد ٣١٠ كم في الجنوب الشرقي لفاس على تخوم الصحراء.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المسيحي هناك واستقرت في حاضرة الدولة الزيانية مدينة تلمسان وكانوا عبارة عن تجار جاءوا لممارسة نشاطهم الاقتصادي وكانت إقامتهم مؤقتة مرتبطة بأعمالهم التجارية[٧،ص٤٠] .

- حقوق فئات وطبقات المجتمع الزياني:

أولاً- الطبقة الخاصة: لقد عرف عن المجتع الإسلامي في العهد الزياني تبايناً في طبقاته الاجتماعية ابتداءً من السلطان أو الحاكم مروراً بمختلف فئاته الاجتماعية، فهناك الطبقة الخاصة(الحكام) وهي الأسرة الحاكمة التي تضم سلاطين وأمراء بني عبد الواد وابناء عمومتهم والحجاب والوزراء وكتاب الدواوين، وكانت هذه الطبقة تتمتع بمكانة السيادة والرئاسة في المجتمع الزياني[٩،ص٢٣٤].

وكان لبني عبد الواد مكانة خاصة في الدولة الزيانية فإليها ينتمي يغمراسن بن زيان(٦٣٤هـ/ ١٢٣١م) أول الأمراء الزيانيين، وكانت هذه الطبقة تتمتع بحقوق وأمتيازات كبيرة فكانت تعيش حياة مترفة تتصدر بموجبها طبقات المجتمع الاخرى وتتربع على قمة هذا الهرم الطبقي، لذلك فإن أسرة يغمراسن بن زيان وقبيلته(بنو عبد الواد) كانوا يشكلون أهم افراد المجتمع الزياني، بالاضافة إلى بعض الموظفين والفقهاءالذين كانوا يشغلون مناصب حساسة كالقضاء والخطابة والجباية والحسبة(*)، فضلاً عن روؤساء القبائل المتحالفة مع بنو عبد الواد[٦٤، ص٢٣٧] وكانت هذه الطبقة أو الفئة تحصل على امتيازات وعطايا واقطاعات(**)، وهي عبارة عن عقارات سكنية في المدينة وأراضي زراعية كالاقطاعات التي قدمها يغمراسن للفقيه أبي إسحق إبراهيم بن يخلف التنسي في المدشر المعروف(تيرشت)(***) [٨،ص١٢٧]،.

والاقطاعات التي قدمها ابو حمو الأول إلى الفقيهين أبي الإمام ابي زيد وابي موسى، وبنى لهم مدرسة ومنزلين، كما اقطع السلطان ابو محمد الثاني(٧٦٠هـ/١٣٥٩م) لقبيلة المعقل العربية اراضي زراعية بضواحي تلمسان وكذلك منح لشيوخ قبيلة بني عامر(****) اقطاعات عقارية كثيرة فكان يقوم بكسوتهم بالرغم من كثرة عددهم، ويقدم لهم المنح المالية المعتبرة في المناسبات المختلفة، وهذا يؤكد أن الاقطاعات والهبات كانت موجودة وشائعة عند الزيانيين[٦٥،ص٢١٢] وبذلك فإن هذه الفئة تتمتع بمستوى مالي مريح خاصة لمتولي ديوان البحر، إذ كانت أجرته تفوق أجرة قاضي الجماعة بافريقية خمس مرات وهذا يعود لارتباط هذا المنصب بالحياة الاقتصادية والارباح والفوائد والضرائب المحصلة من الاغنياء[١٠،ص٩٣].

ثانياً- طبقة الأشراف: وهم أبناء ادريس بن عبد الله وأخوانه محمد النفس الزكية وسليمان الذين انتصروا بالمغرب الأوسط والأدنى فقد كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة بين فئات وطبقات المجتمع الزياني، وكانت لهم قوة وسطوة في النفوس وكانت هذه الفئة وعلى ما يذكر السلطان ابو حمو موسى الثاني:"يكون الشرفاء عندك ارفع الناس في الرتب لأنهم أشرفهم في الحسب وأعلاهم في النسب"[٩،ص٩١] وكانوا هؤلاء الأشراف يحتلون المرتبة

---

* وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فرض على القائم بأمور المسلمين.

** أراض تابعة للدولة لها الحق في التصرف فيها فبإمكان السلطان أن يمنح حق استغلالها لشخص أو جماعة.

*** تيرشت: يقع بمقربة من الحنايا على بعد أميال من مدينة تلمسان.

**** مجموعة من القبائل العدنانية من قبيلة الهوازن القيسية المضرية وهي جمجمة من جمائم العرب.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الأولى بالنسبة لترتيب أعوان السلطان فلهم عدة حقوق وامتيازات ومنها أنهم كانوا معفوون من دفع الضرائب المفروضة على السكان[٩،ص٩٢].

لقد سلك الزيانيون منذ ابتداء دولتهم خطاباً دينياً يتلاءم مع ظروف ومتغيرات هذه المرحلة فسعوا في بعض صوره إلى محاولة تجنيد الأشراف واستدراجهم بما يضمن ولاءهم السياسي، ووضعهم تحت الرقابة المباشرة للسلطة، إلى جانب توظيفهم لخدمة مصالح دولتهم، فقد دأب أهل المغرب الأوسط الزياني أمام جور عمال الدولة وكثرة المغارم غير الشرعية على الاستجارة بالشرفاء خاصة الأولياء العلماء منهم تبركاً بهم وطمعاً في حمايتهم حتى أن الشيخ محمد بن يوسف السنوني الحسني[١١،ص٨٣]،(*)(ت٨٩٥ه/١٤٨٩م)، كتب يوماً ثلاثين كتاباً إلى لأمراء لقضاء حوائج الناس وفك كروبهم رغم كراهته لأنها تشغله عن دينه وتلقين العلم لطلابه، ومن أكثر الأولياء الذين وهبوا أنفسهم لخدمة الناس ونجدة مسلوبهم ونصرة مظلومهم والعطف على مفزوعهم، الشريف أحمد الغمازي[١٢،ص١٩٣]،(**)(ت٨٧٤ه/١٤٦٩م) فلما أطاح السلطان المتوكل على الله بالسلطان أحمد العاقل(٨٣٣-٨٦٦ه/١٤٣٠-١٤٦٢م) لجأ كتابه وعماله وموظفي دولته إلى دار الولي الشريف أحمد الغمازي واستجاروا بحماه، ولما جد المتوكل في طلبهم قال له الشيخ: " إن الله أحسن اليك فأحسن بعبيده واعفو عن هؤلاء الولاة"[١٢،ص١٩٥] فعفا عنهم السلطان التماساً لرضا الشيخ وطمعاً في بركة دعائه.

لقد كانت فئة الأشراف تتمتع بامتيازات اجتهد سلاطين بني عبد الواد في منحها لشرفاء دولتهم، وقد اتخذت هذه الامتيازات اشكالاً متعددة ومتنوعة ومنها الرعاية المالية[٤،ص٢٦] التي تشمل(منح الهبات، وقف الأراضي والمحلات، كالافراد والمعاصر والحوانيت والمؤسسات التي يديرونها من زوايا ومساجد ومدارس، وتوليتهم للوظائف الإدارية والخطط الشرعية[٤،ص٢١٥] واستخدام بعضهم في مهام دبلوماسية كسفراء لحمل الرسائل للأمور المهمة[٣، ص١٨٩] فضلاً عن نصرة المظلومين منهم والاقتصاص من ظلمتهم، كما حدث لعامل شلف الذي قصر في حقهم وأساء السيرة فيهم فعزله السلطان وأوصى خليفته بالإحسان اليهم وحفظ حقوقهم[١٢،ص٢٣٣] بالاضافة إلى منحهم ألقابا ترفع من شأنهم وتميزهم عن العامة، مثل لقب السيد ولقب الشريف.

كانت معظم الاخبار التي ساقتها لنا المصادر التاريخية عن فئة شرفاء المغرب الأوسط في الحقيقة قليلة ونادرة وأغلبها من الوسط العلمي والصوفي، حيث نجد اشارات وتلميحات إلى مؤسسة نقابة الأشراف التي تعد فضاء رسمياً وروحياً لهذه الفئة التي تسهر على رعاية حقوقهم والدفاع عن مصالحهم المادية والمعنوية، فقد اعتبر الكثير من الدارسين أن هذه العملية هي عصب خطاب الشرف في المغرب الإسلامي لما لها من تداعيات روحية ومادية على شرائح واسعة من المجتمع الزياني التي تباينت مواقفها منها، ففي الوقت التي رأى فيها الشرفاء أنها حق شرعي وبخاصة أن الصدقة لا تجوز بحقهم بالنص على مذهب الجمهور، اعتبرتها السلطة الزيانية التزاماً

* صاحب العقائد من أشهر علماء تلمسان وله مؤلفات في التفسير والفلك والطب والتصوف عاش ما بين (٨٣٢-٨٩٥ه).

** هو ابو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى من عرب رباح سمي بالغماري لسكناه أقليم غمارة وهو شريف من جهة أمه.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

دينياً وسياسياً يدعم شرعيتها ويوطد سلطانها، إلا أنه كثيراً ما أرهق خزينتها لاسيما في أوقات الأزمات، وشكلت لفريق ثالث إغراء مادي ومعنوي قاده الأشراف لإعادة ترتيب وضعهم الاجتماعي والسياسي في المجتمع الزياني، على الرغم من تأكيد مؤرخي البلاط الزياني على أن سلاطينه كانوا معظمين لآل البيت وحافظين لحقوقهم ومصالحهم.

معارضة الشرفاء للسطة الزيانية:

يبدو أن المصادر التاريخية لم تشر أو تذكر إلى توتر العلاقة بين السلاطين الزيانيين والشرفاء إلاّ نادراً وتصل إلى بعض التلميحات هنا وهناك، ومن هذه التلميحات وعلى قلتها في النصوص تبين أن معارضة الشرفاء للسلطة الزيانية كانت في معظم الاحيان غير مباشرة، وأن شرفاء المدن الزيانية ظلوا بعيدين عنها لإفادتهم المستمرة من حقوق وامتيازات بني عبد الواد ووجودهم تحت رقابتهم المباشرة، واتخذ كثير من أشكال هذه المعارضة اشكالاً فردياً وبعيد من أي تأثيرات سياسية ومنها رفض عطايا السلاطين الذي قام بها مجموعة من الأولياء والشرفاء الذين فرغوا أنفسهم للتعبد وأعرضوا عن الدنيا وملذاتها ووهبوا وقتهم للعلم وقضاء حوائج الناس، فزاد بذلك احترام الناس لهم وتعاظمت منزلتهم حتى أحرجت السلطة الزيانية التي حاولت احتواءها واستثمارها لتمرير مخططاتها، إلا أنها لم تجد قبولاً لديهم لأنهم كانوا يعتبرون قادة السلطة الزيانية من أهل الدنيا وأن مجالستهم واتباعهم فيه مفاسد عظيمة[١٣،ص١٤٩].

ومما زاد من قوة هذه المجموعة أو النخبة من الأشراف الرافضة لعطايا السلاطين هو توجهها للتأليف المنقبية بعد العهد الموحدي حيث انتصر أصحابها لأولياء (الأشراف المتصوفة) الذين كانوا قبل ذلك مضطهدين من السلطة وتعرض بعضهم للسجن والمراقبة، لتشهد هذه المرحلة تعاظم هذه الكتابات التي تروج لكرامة الأولياء وتحذر من مخاطر تحدي الحدود معهم، الأمر الذي عقد من مهمة السلطة الزيانية بتمرير خطابها الشرافي وشعرت بحاجز روحي يحول دون مراقبتهم ومعاقبة مخالفيهم[١٣،ص١٥١].

يكشف لنا هذا الوضع الرافض للأنساق وراء الخطاب السياسي للسلطة الزيانية عن موقف بعض الأولياء الشرفاء وجرأتهم في إبداء رأيهم وحقهم والحفاظ عليه وترسخهم في المجتمع حتى أنهم صاروا مصدر ريبة وترقب من السلطة تجاه هذه الفئة التي أخذت تتمادى وتتطاول في مطالبها حتى رفضت تسليم بعض مطلوبي السلطان كما حدث مع الشريف محمد بن يوسف السنوسي الذي رفض تسليم امرأة استجارت بداره رغم إلحاح السلطان على ذلك، لكن السلطان اضطر أمام تمسك الشيخ بموقفه إلى التغاضي عنه[١٢،ص٢١٨] كما أن من يتجرأ على الأعتداء على حرمة هؤلاء الأولياء الشرفاء ستحل به الكارثة، كما حدث لابن ربيب الذي أخذ مطلوباً للسلطان بالقوة من بيت الشريف أحمد الغمازي فكان مصيره فيما بعد مصير هذا المطلوب[١٢،ص٢٢٠].

ويزداد حرص أحمد الغمازي بالدفاع عن حقوق الضعفاء ورعاية مصالحهم وتفريج ضائقتهم حيث كانوا شرفاء من نسل النبي صلى الله عليه واله وسلم ومن ذلك وقفته الحازمة مع شرفاء مغراوة في منطقة شلف الذين اشتكوا إليه جور عامل وطنهم وأنه تنقصهم وأهاليهم وسواهم على غيرهم من الرعية، فاشتاط الشيخ غضباً وكتب

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

إلى السلطان فيهم فنزل عند طلبه فعزل العامل وأعاد الاعتبار لشرفاء مغراوة وأوصى العامل الجديد بهم خيرا [١٢،ص٢٣٣] فسر الشيخ من جوابه فشكر له سعيه وأنشد يقول:

يا آلَ بَيتِ رَسولِ اللَهِ حُبُّكُم فَرضٌ مِنَ اللَهِ في القُرآنِ أَنزَلَهُ
يَكفيكُمُ مِن عَظيمِ الفَخرِ أَنَّكُم مَن لَم يُصَلِّ عَلَيكُم لا صَلاةَ لَهُ

وقد ربط السكاك[١٤،ص٣] في نصح ملوك الإسلام، استقرار الدول وأزدهارها بدرجة اعتنائها بآل البيت فببركة نسلهم الطاهر يتوسع سلطانهم وتزدهر أيامهم وتدوم رياستهم، وتقصر مدتهم وينحسر سلطانهم وتتكالب عليهم الأعداء بأهمالهم حقوق آل البيت ومصالحهم.

ثالثاً- حق العلم والعلماء:

لقد شجع سلاطين المغرب الأوسط في عهد بني زيان الحركة العلمية وكان بعضهم علماء وأدباء مما انعكس ذلك إيجابياً على حياة الناس الثقافية مثل السلطان أبي حمو الثاني(٧٢٣-٧٩١هـ/ ١٣٢٠-١٣٨١م) الذي كان ملماً بالعلم[١٥،ص٢٢٣] إذ ألف كتاباً لولي عهد سماه واسطة السلوك في سياسة الملوك، فضلاً عن بنائه للمدرسة اليعقوبية سنة(٧٦٥هـ/١٣٦٤م) [١٦،ص١٣٧] التي انضم إليها نخبة من الاساتذة، وحظي العلماء وطلاب العلم بعطف هذا السلطان ورعايته وتشجيعه لهم، فنال العلماء والشعراء من كرمه وعطائه[٣،ص١٧٩].

وساهم أبو زيان محمد الثاني(٧٩٦-٨٠١هـ/١٣٩٤-١٣٩٩م) مساهمة فعالة في تشجيع الحركة العلمية التي كانت تعيشها الدولة الزيانية وهو ما أكده التنسي في كتابه بقوله " فاقام سوق المعارف على ساقها وإبدع في نظم مجالسها واتساقها، فلاحت للعلم في ايامه للنهوض وارتاحت الاستغراق فيه نفوس بعد نفوس"[٣،ص٢١٠].

ويذكر أن سلاطين بني زيان قد وجهوا عنايتهم بالعلم والعلماء ويأتي في مقدمتهم يغمراسن بن زيان (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية، وقد سار ملوك بني زيان على درب يغمراسن فقد عملوا على تشجيع العلم والعلماء وأعطاء حقوقهم ومنهم عثمان يغمراسن(٧٠٣هـ/١٣٠٣م) الذي اتبع سياسة أبيه في آخر عهده والسلطان أبو حمو موسى الأول وايضاً السلطان أبي تاشفين وغيرهم من السلاطين[١٧،ص٣٥].

ومن السلاطين الذين دعموا وشجعوا الحياة العلمية السلطان أبي مالك عبد الواحد(٨١٤-٨٢٤هـ/١٤١١-١٤٢٤م) فقد ازدهرت في عهده الحياة العلمية واعتلى به الملك وسما وازداد رفعة ونفقت في أيامه سوق الأدب، وأيضاً السلطان أبي عبد الله الرابع الثابتي(٨٧٣-٩١٠هـ/١٤٦٨-١٥٠٥م) [٣،ص٢٣٦].

ولا يمكن للعلم أن ينتشر إلا حيث تنتشر مراكز التعلم، لذلك حرص الأمراء الزيانيين على بناء المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا التي أصبح يؤم إليها طلبة العلم خاصة بعد اهتمام الأمراء والسلاطين الزيانيين، وإعطاء المرتبات والمنح الشهرية للاساتذة وتخصيص مراكز لإيواء الطلبة واسناد مهمة التدريب لأبرز العلماء والفقهاء[١٨،ص٢٤٨].

وهكذا كانت للعلماء والفقهاء مكانة خاصة عند السلاطين الزيانيين وكانوا يتمتعون بحقوق ومكانة رفيعة في المجتمع الزياني واهتموا بهم اهتماماً كبيراً، وأصبحوا من المقربين لهم، وكانو أحياناً يطلق عليهم بـــ(الرياسة) وبألقاب أخرى تؤكد على مكانتهم الرفيعة سواء من رجال الدولة أو عامة الناس، ولم يقتصر تقدير سلاطين بني

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

زيان للعلماء في حياتهم فقط بل تعداه للموت أيضاً، فقد كان السلاطين يمشون في جنازات العلماء والفقهاء مثلما مشى السلطان الواثق في جنازة العلامة قاسم بن سعيد سنة ٨٥٤هـ وكذلك السماح بدفن العلماء في مقابر السلاطين[١٨،ص٢٤٩].

ومن ذلك يتضح أن اهتمام الخلفاء والسلاطين بالفقهاء والعلماء لم يكن أمراً جديداً في الدولة الإسلامية بل هو من حقوقهم وهي رسالة سماوية وأساس من أهم أسس الإسلام ودعائمه منذ نزوله، وهو ما أكدته الآيات القرآنية الكريمة، قال العلي القدير في كتابه الكريم: «**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**»[سورة العلق/آية ١] وفي آية أخرى « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**» [سورة فاطر/آية ٢٨].

لقد نادى علماء الأمة بالسير بين الرعية بالعدل وذهب بعضهم المطالبة بتغيير مكانة السلطان ومعاقبة الولاة الظالمين ومنهم من نادي بإصلاح القضاء، وهذا الدور الذي قام به العلماء كونهم ورثة الأنبياء وقد أوجب الله عليهم بيان الحق للناس وحرم عليهم كتمانه، قال تعالى: « **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**»[سورة ال عمران/آية ١٨٧] وقال تعالى« **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**»[سورة البقرة/آية ١٥٩].

وإذا كانت قيمة العلماء بهذا المستوى فإن مسؤوليتهم كبيرة جداً؛ لأن المطلوب منهم هو إصلاح الناس والأمراء ومطلوب منهم عدم تأخير البيان عن وقت الحاجة، لذلك فإن العلماء كانوا في مقدمة الصفوف في هذا المجال.

رابعاً– حق اليهود في عهد الدولة الزيانية:

بعد الأوضاع السيئة التي عاشها اليهود في حكم الموحدين في بلاد المغرب حيث تعرضوا لأبشع أنواع الاضطهاد والتضييق، فقد أعلن بنو عبد المؤمن بشكل واضح بأنه لا مجال لديانة أخرى في المناطق الخاضعة لهم لغير الإسلام[١٩،ص٢٢٦] وأصدر عبد المؤمن علي مرسوما خيّر به اليهود بين الإسلام والهجرة أو سفك دمائهم، وألأزم الخليفة الموحد المنصور اليهود بلباس خاص يميزهم عن بقية المسلمين بسبب أذيتهم للمسلمين والتآمر عليهم والتجسس على الجيش ونقل أسرارهم إلى الأعداء وهو ما جير هذه السياسة العدائية التي مارسها الخلفاء الموحدين ضد اليهود[٢٠،ص٣٥٦].

ولكن بعد سقوط الدولة الموحدية تقاسمت الدول التي قامت على أنقاضها خارطة بلاد المغرب العربي ومن بينها دولة بني زيان (بنو عبد الواد) التي قامت في المغرب الأوسط، فعاد اليهود لتبؤ مكانة هامة في التركيبة الاجتماعية لدولة بني زيان، وقد ساعدت الظروف السائدة في بلاد المغرب العربي الإسلامي على تزايد هذه الفئة في المجتمع المغربي، فقد كانت الحملة التي خاضتها الكنيسة ضد اليهود عاملاً حاسماً في هجرة أعداد كبيرة منهم إلى المغرب العربي[٢١،ص٢٢٠] وكان أغلب هؤلاء اليهود من السفرديين[٢٢،ص١٩٧]،(*).

*السفرديون: اليهود السفارديم (سفرديم) وهم الذين تعود أصولهم الأولى ليهود أيبريا الذين طردوا منها في القرن الخامس عشر وتفرقوا في شمال أفريقيا وآسيا والشام.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لقد شكلت طائفة اليهود جالية كبيرة في عواصم المغرب مستغلين التسامح الديني والموقف الذي أظهرته الحكومات الناشئة الجديدة في بلاد المغرب بعد سقوط الموحدين اتجاههم، وخاصة أن سكان المغرب أحسنوا استقبالهم ووفادتهم وسمحوا لهم بالاقامة بجوارهم، وقد استطاع اليهود في هذا التسامح أن يكونوا لهم بيع في بلاد المغرب ومنها بيعة(توات)[٢٣،ص٢٦٩] وشهد المغرب في بعض مدنه تجمع جاليات شكلت أكثرية ساحقة، وكان اليهود يؤدون شعائرهم الدينية بحرية تامة خاصة وأن الفقهاء افتوا بأن الوفاء لأهل الذمة واجب[٢٤،ص٣٨].

ولليهود أثر كبير في الحياة السياسية فقد كان لهم أثر خفي في البلاطات الملكية نظراً لاتصالهم السري بالحاشية والأسر المالكة، وعن طريق هذه الوسائل السرية، استطاعوا استمالة قلوب الملوك والنيل من عواطفهم[٢٥،ص٩٩] (فقد كان منهم ندمة وخزنة ومدبري شؤون خاصة ووزراء، وأيضاً سمح لليهود ممارسة حقهم في الحياة الاقتصادية فاهتموا بالتجارة خاصة تجارة العبور وسيطروا على اسواق الذهب وانفردوا بصناعات مختلفة خاصة بهم كالصياغة والصيرفة ومصنع الأقمشة والألبسة النسوية فضلاً عن ممارستهم للفلاحة بامتلاكهم للاقطاعات الفلاحية القريبة من تلمسان وتونس وغيرها[٢٦،ص٨٧] إلا أن اليهود غالباً يستغلون تسامح السلطات معهم فينكثوا بما التزموا ويتأمرون ضد المسلمين ويتجسسون عليهم ويحاولون نشر الفساد بينهم وهو ما دفع الحكام أن يتخذوا اجراءات عقابية ضدهم في الكثير من الأحيان[٢٦،ص٩٥].

من ذلك يتضح وفي ضوء التغيرات الملحوظة التي شهدها المغرب بعد سقوط الموحدين، هو تزايد الأثر اليهودي في المجتمع الزياني بعد أن عاشوا سنوات من الضيق والتهميش في الحكم الموحدي، ويظهر ذلك في الأدوار الاجتماعية والاقتصادية التي تبوأها اليهود في عهد الدويلات الناشئة، فقد وفرت السلطة الزيانية كل الظروف المطلوبة لليهود وأصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعي لدى مدينة تلمسان حاضرة الزيانيين، وشكلوا بذلك نموذجا للتسامح والتعايش، وتقلدوا مناصب عليا؛ مهندسين وأطباء وقواد عسكريين، وكانوا من أرباب التجارة والمهن والصنائع ومما يؤكد هذا قول كاربخال: " كان الأهالي يعاملونهم أحسن مما يعامل الشريف يهود فاس ويسمحون لهم بالأشغال أكثر مما يسمح لهم في فاس" [٢٧،ص٤١].

لقد كان اليهود يرافقون القوافل التجارية من الجزائر وتلمسان نحو السودان الغربي وكانت هناك جالية يهودية في بسكرة وتقرت، ولهم علاقة بأخوانهم في المدن التابعة للدولة الزيانية كمدينة الجزائر وكان من بينهم الأطباء والعلماء مثل الطبيب موشي بن صموئيل بن يهودا الأسرائيلي الملقب الأندلسي المعروف بابن الأشقر [٥، ص١٩٣] والطبيب أفرايم عنقاوة الذي أستطاع معالجة زوجة السلطان أحمد الناصر الزياني سنة ٨٦٦ ه/ ١٤٦٢م، ولم يقبل الأجر على ذلك بل طلب منه أن يسمح لليهود السكن داخل تلمسان وقبل السلطان ذلك[٢٨،ص١٢٢] فاتخذوا بذلك مساكن لهم في تلمسان وعملوا في اعمال التجارة والصيرفة والقروض والذهب والفضة والأسلحه والحديد والخياطة، وقد عاش اليهود في كنف المسلمين وحمايتهم مقابل دفع الجزية التي قررها الشرع الإسلامي وكانوا ينعمون بحرية أداء الشعائر الدينية والعناية والدعم المعنوي من بني زيان وكان للطائفة اليهودية مقبرتها الخاصة وكانوا كالمسلمين يزورون أضرحة الأولياء الصالحين[٥،ص١٩٥].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

خامساً- حق العمل وممارسة النشاط الاقتصادي:

لقد انتهجت الدولة الزيانيه ومما لاشك فيه نفس النظام الاقتصادي الذي كان سائداً قبلها بالمنطقه وهو ما أورثته عن انهيار الدولة الموحدية، وقد اهتم الإسلام بالجانب الاقتصادي للمجتمع اهتماماً كبيراً لأن الاقتصاد من مقومات الحياة الدنيا خاصة إذا ما علمنا أن الإسلام يقدس العمل الدنيوي الذي يؤدي إلى عزة الفرد والمجتمع وازدهار الأمة ويغنيها عن التبعية للأمم الأخرى وهذا يجعلنا نذهب للقول: إن الجانب الاقتصادي والمالي مرتبط بالجانب السياسي والإداري لكون أن السياسة الاقتصادية والإدارة الاقتصادية تتحكمان إلى حد كبير في النشاط الاقتصادي والنظام المالي، والعمل يعد أساس الاقتصاد الإسلامي وهو بذلك يخالف الأنظمة الاقتصادية التي تقوم على الرق وإلا قطاع والعبودية، وفي هذا الشأن يقول الله عز وجل: « **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[سورة الملك/ اية١٥] وقال الله تعالى:«**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**» [سورة التوبة/اية ١٠٥].

وهكذا فإن الإسلام قد أعطى للعمل الإنساني المؤدي إلى سد حاجاته اليومية المعيشية مكانة هامة بل وقرنه بالعبادة حتى أضحى العمل عبادة وذلك لما له من قيمه دينيه وخلقيه، وفي هذا الشأن يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لئن يأخذ أحدكم حبله ثم يأت الجبل فيأتي بحزمة حطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس".

والاقتصاد الإسلامي يقوم على أساس المعادلة التي توازن بين الروح والمادة، فلا تغلب المادة الجانب الروحي ولا الروحي يطغى على المادة، فينتج لدينا توازن في حياة الأنسان بعكس النظم الوضعية التي تقدس المادة على حساب الروح فينتج عنه اختلاف خطير يؤدي إلى تفكك الروابط الروحية للمجتمع ونزول القيم الإنسانية لتحل معلمها القيم المادية، وهكذا فأن الإسلام يؤكد على مبدأ تحقيق العدالة في الرزق والكسب وحفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع وأن الإسلام قائم على مبدأ الوسطية في كل شيء وذلك بإقامة نظام اقتصادي متوازن يجد فيه القوي والضعيف مكانه حسب قدراته الاقتصادية[٢٩،ص٤١].

لقد سعى أمراء بني زيان إلى تطبيق الفكر الاقتصادي الإسلامي وعدم الابتعاد عن أهم مرتكزاته وقواعده العامة، وخاصة أنهم وجدوا أنفسهم مطوقين في بيئة تتميز بالتطاحن والصراع السياسي والعسكري.

وكان اهتمامهم بالجوانب الحياتية الخاصة بالرعية أخذت حيزاً كبيراً من سياستهم الاقتصادية الهادفة لحفظ حقوق الإنسان وحرياتهم الأقتصادية المحددة شرعاً، فقد أولت الدولة الزيانية أهتماما بفئة التجار التي تمتعت بجملة من الحقوق الامتيازات ومنها ضمان الأمن وحرية التنقل بقوافلهم، وهناك عدة إجراءات قامت بها الدولة تؤكد إنزال أشد العقوبات لمن يعترض سبيل المسافرين والتجارة ولكن بعد ضعف الدولة الزيانية مما أثر على هؤلاء التجار فانعدم الأمن مما جعلهم يتعرضون للتصفية الجسدية مثلما حدث لتجار القيصرية في مدينة تلمسان الذين هجم عليهم السكان بمجرد وصول مهاجري وهران بعد سقوطها بيد الإسبان سنة (٩١٥ه/١٥٠٩م) [٩،ص٨٢].

لقد تنبه السلطان يغمراسن بن زيان بذكائه إلى أهمية التجارة والتجار فأوسع لهم في بلده وأضفى عليهم حمايته وخفف عنهم الجبايات وعاملهم بأمانة وعدل وشارك هو نفسه في التجارة ورحب بالتجار الأجانب وأكرمهم وتركهم يشترون من بلده التبر والجلود والأبنوس والعاج وريش النعام والريش الملون وبعض التوابل كل

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ذلك بسعر معقول مع ضمان الأمان، ومن ناحية أخرى حرص السلطان يغمراسن بن زيان على حسن مراعاة الزراع في الأراضي الواقعة في نفوذه، فوفر لهم الأمن وخفف عنهم الجبايات فأحبوه وتعلقوا به، وهذا الأساس الذي وضعه يغمراسن بن زيان لأمارته بالذكاء وبعد النظر بالأضافة إلى طول مدة حكمه الذي أطال عمر الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون (١٢٢٥-١٥٥٤م) [٣٠،ص٣٩].

وكان للتجار كافة الحرية في بناء كنائسهم ومعابدهم لأداء الشعيرة الدينية، وكانت إقامتهم وتنقلهم في المدن الزيانية تخضع لمعاهدة بين دولهم وبين سلطان المغرب الأوسط، أما الذين لا توجد اتفاقية بين دولهم وسلطان المغرب الأوسط فكان لهم الحق في الدخول تحت لواء دولة صديقه وحتى من أستنفذ وقت المعاهدة يمكنه ممارسة التجارة بحرية في ظل حماية السلطان، ويبدو أن عددهم غير كبير بحيث لا يتجاوز أعدادهم العشرات من كل دولة وكانوا يقيمون في تلمسان أو غيرها من مدن المغرب الأوسط، إلا أن إقامتهم لم تكن دائمية ولا يسمح لهم باصطحاب زوجاتهم معهم، ولايمكن الزواج من بنات دار الإسلام، وهذه الإجراءات المتبعة من الزيانيين لم تكن تشجعهم على الإقامة الطويلة في المدن الإسلامية، وكانوا يسكنون الفنادق ولهم دكاكين يستأجرونها لبيع سلعهم، وعلى الدولة أن تقوم بحمايتهم بصفتهم مجاهدين ولأن نشاطهم التجاري يعود بالفائدة للدولة والخزينة ولهذا كانت أقامتهم في المدن سواء في تلمسان أو غيرها من المدن تتسم بالهدوء والاطمئنان وكان يدير شؤونهم مع السلطة الملكية قنصل يعين من حكومته ويكون هو رئيس الجالية ويمثل بلاده ويتمتع بحصانة دبلوماسية[٥، ص١٩٠].

سادساً- حق فئة العوام:

تشمل هذه الطبقة أو الفئة الفلاحين وأصحاب المهن والصناعات وصغار التجار والعاطلين عن العمل والمعوزين، وتشكل هذه الفئة أغلبية السكان وأفرادها متساوون في أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وهم الذين يكافحون من أجل الرزق والعيش البسيط وأهم ما يميز هذه الفئة هو سرعة تأثرهم بالأزمات السياسية والاجتماعية، وتضم هذه الفئة أيضا المهمشين الكادحين والعاطلين والعبيد وهدفهم الوحيد هو تحسين أحوالهم المعيشية، وبناء على وصف مارمول كاربخال فأن هذه الفئة وعلى المستوى المعاشي في عهد الدولة الزيانية كانت أفضل وخاصة في مدينة تلمسان إذا ما عقدت مقارنة بينهم وبين سكان مدينة طنجة في المغرب الأقصى، فقد عاشت عناصر هذه الفئة حياة مترفة ويتعاملون معاملة حسنة وفق عادات البلاد على عكس معاملة عناصر هذه الفئه في مدينة طنجة[٣١،ص٤١].

ساهمت الحروب والغارات في أثراء الدولة الزيانية بأسرى وعبيد واستخدموا في الجيش جنودا، واستخدموا في خدمة ملوك بني زيان بقصورهم وكانوا يتميزون بالطاعة والولاء التام للسلطة الزيانية[٤،ص٢٣٧] أما فئة المعوزين والبطالين وأراذل الناس واللصوص فقد تعرضت هذه الفئة من المجتمع إلى الإهمال والنسيان لكون هذه الشريحة غير منتجة بل كانت تشكل عبئاً على كاهل الدولة وهي من دون شك تمثل الجزء الأكبر في المجتمع[٣١،ص٣٧].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وعندما فكر يغمراسن بن زيان أن يشد أزره بعرب من بني هلال استعان بفريق من زغبه الهلاليين هم بنو سويد وأنشأ منهم صفا والصف في مصطلح تلك الأيام كان يعني الفرقه من الجند وأغدق عليهم الأموال ومنحهم اقطاعات الأرض فأستقروا وانضافت اليهم صفوف من بني عامر وبني هميان، ومن هؤلاء العرب تكون مخزن بني زيان أي قوتها العسكرية وعندما ضاق يغمراسن بن زيان بمتاعب البدو من بني زغبه كان قد كون جندا من أبناء من استقر منهم في الأرض وتحضروا واستمر نفر من أولادهم يعملون في الجيش بعد التعلم والتدريب وهؤلاء بالإضافه إلى بني زيان من بربر زناته كانوا سند بني زيان وقوتهم، وهذا يعني أن العرب والبربر قد تجاورا واختلطوا وتصاهروا في بلاد المغرب العربي[٩،ص٧٧].

سابعاً- حق المهاجرين الأندلسيين:

عرف المغرب الأوسط توافد العديد من الأسر الأندلسية للسكن في المغرب وخاصة في مراحل الأزمات السياسية للأندلس وضعف المسلمين فيها، فني منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي وصلت جالية كبيرة من الأندلس إلى المغرب الأوسط وكان معظمها قد نزل في عاصمة بني زيان حيث وجدوا الترحيب من الأسرة الحاكمة، وتوجه آخرون إلى مدن آخرى مثل مدينتي الجزائر وبجاية، بينما تفرق الآخرون بين مدينتي ندرومه وهنين[٩،ص٧٩].

ويذكر القلقشندي أن سبب هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط وخاصة مدينة تلمسان، أن هذه المدينة تشبه مدن الأندلس في مياهها وبساتينها وصنائعها[٣٢،ص٤٣٦].

وقد أعطى السلطان يغمراسن بن زيان أهمية كبيرة لموضوع المهاجرين الأندلسيين، فكان لهم حقهم في السكن وحق التملك للأراضي الزراعية، فضلاً عن ذلك فإن السلطان الزياني يغمراسن قد فضل أن يسكن هؤلاء المهاجرين الأندلسيين في حاضرته مدينة تلمسان فقد لاحظ منهم النية والرغبة وأعتبرها وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه وأذن لهم بالسكن فيها[٩،ص٢٢٨] وقد شغل قسم منهم مناصب هامه في الدولة الزيانية مثل أسرة الملاح وهلال القطلاني والفقيه ابو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي وكذلك ابن وضاح الذي عبر البحر مع جالية اندلسية فرحب به السلطان يغمراسن وقربه وأكرمه وأجله واصطفاه[٩،ص٢٢٩].

ثامناً- حق المرأة:

لقد حرص الإسلام على تحقيق المساواة في مختلف جوانب الحياة العامة بين الرجل والمرأة من قوله تعالى: "**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**"[سورة الاحزاب/آية٣٥] وقوله تعالى"**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**"[سورة النساء/آية١٧].

لقد تمتعت المرأة في عصر الدولة الزيانية بحقوقها وواجباتها، كما نص عليه الشرع وقد حث على معاشرة النساء بالمعروف، كما جاء في قوله تعالى"**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**"[سورة النساء/آية ١٩] فضلاً على أن

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المرأة كانت تدير شؤون البيت وتربي الاطفال وكانت تمارس حرفاً كالغزل والخياطة والتجارة والتمريض[٩، ص٩٠].

وكذلك كان لها أثر في مجال السياسة ومما يؤكد ذلك عندما أستول السلطان الحفصي على مدينة تلمسان سنة ٦٤٦ه وأخرج منها السلطان يغمراسن بن زيان تقدمت أم يغمراسن(سوط النساء) على رأس الوفد الزياني للتفاوض معه عن العاهل الحفصي بأسم أبنها وتمكنت من توقيع معاهدة سياسيه مع الحفصيين يعود بمقتضاها ابنها يغمراسن على عرشه وكان السلطان الحفصي آبي زكريا قد أكرم وفادتها لما كانت تتسم به من قوة الشخصية والشجاعة، وأيضاً من الحقوق التي تمتعت بها المرأة في العهد الزياني حق التعلم بحكم أن طلب العلم على الرجل والمرأة فكانت تدرس في الكتاتيب مع الأطفال القرآن ومبادئ القراءة والكتابة ، وكان أهل المدن الزيانية يسمحون لها بالتعلم في هذه المرحلة المهمة من تاريخ المغرب الإسلامي فكانت تحفظ أهم الكتب، ومن أبرز الشخصيات النسائية المثقفه السيدة فاطمة بنت أبي زيد النجار، وفاطمة بنت الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز وكذلك الشيخه الصالحة عائشة بنت الأكحل[٩،ص٢٢٨].

تاسعاً– حق ممارسة الشعائر الدينية:

تعد ظاهرة زيارة الأولياء الصالحين من بين الظواهر التي كانت منتشرة في بلاد المغرب الإسلامي حيث كان العامة من الناس يعتقدون في الأولياء وبقدرتهم ويتقربون اليهم بمختلف الوسائل لنيل بركاتهم ففي عهد يغمراسن كان الناس يقبلون أقبالاً كبيراً على زيارة الأولياء الصالحين، ودعم هذه الشعائر السلطان الزياني يغمراسن بن زيان الذي كان معجباً بهؤلاء الأولياء ساعياً للتقرب منهم ونيل بركتهم فكان يكثر من زيارة الشيخ الصالح سيدي آبي عبد الله محمد بن عيسى الذي كان يزوره بمدينة أغادير، واشتهر هذا الولي بكثرة حجة بيت الله الحرام حيث بلغ عدد حجاته خمسة وعشرون مرة، كما كان يستقبل غيره من الأولياء الصالحين ومنهم الولي إبراهيم بن علي الخياط في قصره وكان يقيم المجالس معه إلى جانب الفقهاء والعلماء ويدير معه المناظرات والمذاكرات في قصره، ولم يكن هذا الاحترام مخصصاً للأحياء من الأولياء فقط بل شمل حتى الأموات منهم ومن ذلك أن السلطان يغمراسن بن زيان آمر بدفن الولي محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق إلى جواره حينما يتوفى[٥،ص٢٩٥].

وكان لفئة المتصوفة مكانة هامة في المغرب في عهد الزيانيين فقد كان عامة الناس يقبلون أقبالاً كبيرا عليهم وحتى سلاطين الدولة كانوا يستقبلون المتصوفين ومن بينهم ابراهيم بن علي الخياط الذي كان رجلاً صالحاً يعيش من الخياطة، وكان كثير الدخول على السلطان الزياني يغمراسن بن زيان لقضاء حوائج الناس، فضلاً عن أن المتصوفة كانوا يعملون على ضمان الأمن والاستقرار داخل المجتمع الزياني[٣٣،ص٨٥].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

عاشراً – حق الناس في الرعاية الصحية

على خلاف ما حظيت به بعض المؤسسات الدينية والعلمية كالمساجد والزوايا والكتاتيب والمدارس من ذكر لدى مؤرخي المغرب الأوسط لم تكن المارستانات(*) كمؤسسة اجتماعيه تحظى بنفس الأهتمام لدى هؤلاء باستثناء بعض التلميحات أو الاشارات البسطية.

من الصعب ترجيح رأي على أخر في غياب مادة مصدرية دقيقة، لكن سلاطين الدولة الزيانية قد اهتموا أيضا بتشيد مؤسسة البيمارستان مثل الحفصيين فقد أشار يحيى بن خلدون إلى وجود البيمارستانات في تلمسان مدة حكم السلطان أبي تاشفين الزياني.

فضلا عن الدور الصحي الذي تقدمه البيمارستانات من الاهتمام بالمرضى ووصف الدواء المناسب لهم فقد كان لهذه المؤسسة أيضا دور آخر ظهر بوضوح في المجاعات فاعتبرت البيمارستانات بمثابة الملاجئ الخيريه التي يؤوي اليها غالبية الفقراء والمساكين بعد أن تجمعهم الدولة هناك حتى يسهل عليها توزيع الصدقات عليهم والاهتمام بهم، وهو ما أكده ابن خلدون بقوله: "ثم اقتضى نظرة الكريم السلطان ابو تاشفين الزياني إلى ضمهم أجمعين بيمارستانات يأتيها فيها رزقهم بكرة وعشيا أثناء السنة[٩،ص٩٧].

وما ذكره ابن خلدون يبرز مزايا هذا السلطان الزياني وأثره الكبير الذي قام به أثناء المجاعة التي اجتاحت تلمسان سنة(٧٦٧ه/١٣٦٥م).

وهو ما يجعلنا نذهب إلى القول بأن الدولة الزيانية قد انتهجت هذه السياسة مع الفقراء والمساكين تحسبا لوقوع الأوبئة التي غالبا ما تعقب المجاعات، فيكون هؤلاء الناس في مأمن من التعرض لها بسبب توفر شروط الصحه والغذاء السليم داخل مؤسسة البيمارستانات.

وعلى ذكر بعض المواقف المشرفه لهذا السلطان الزياني وخاصة تجاه الفئات الفقيرة والمحتاجه منها أمر ببناء مارستان مهمته التكفل بمداواة المعتوهين والمجانين والغرباء والمرضى والانفاق عليه فقد ذكر صاحب الذخيرة "وهو الذي صنع المارستانات في بلاد المغرب للمرضى والغرباء والمجانين وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية وما يشتهون من الفواكة والطرف، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم ومداواتهم وما يصلح أحوالهم"[٤،ص١٩٧] ويبدو أنه أولى أهتماما ورعاية خاصة للايتام والمحتاجين للملبس والطعام وهو ما يؤكده ابن مرزوق بقوله: "وأمر بتطهير الأيتام وكسوتهم والإحسان اليهم بالدراهم والطعام في كل عاشوراء، وأوقف الأوقاف الكثيرة لأطعام عابر السبيل وذوي الحاجات[٣٤،ص٩١].

ويذكر ابن مرزوق الحفيد الذي عاصر السلطان أبي يحيى يغمراسن بن زيان والذي حرص على الاجتماع به في العديد من المرات فكان ذا شهرة كبيره وتميز بحبه وعطفه على الفقراء والمساكين فكان يكتال بين يديه الضعفاء والمحتاجين[٣٥،ص١٦٥].

* لفظة فارسية الأصل مركبة من كلمة بيمار وتعني مريض وستان بمعنى دار وبهذا يكون المعنى دار المرضى واختصرت وأصبحت تلفظ مارستان.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فضلاً عن مساعدة المحتاجين كان هناك دعم من قبل الدولة الزيانية للحجاج، منها المساعدات التي قدمها السلطان أبي حمو الثاني إلى حجاج بيت الله الحرام من تزويدهم بالأموال لغرض أداء مناسك الحج بأحسن الظروف والأحوال.

وهكذا ومما لا شك فيه أن المعلومات القليلة المتناثرة في موضوع النظام الصحي في عهد بنو زيان ينبئ بغياب منظومات صحية توازي مؤسسات الدولة الزيانية، فحتى كتب التراجم لا تعطي سوى معلومات قليلة عن بعض العلماء تطببوا ولم يتركوا أثاراً مقيدة يمكننا من خلالها معرفة مكونات النظام الصحي في العهد الزياني[٣٣، ص١٢٧].

وكذلك فإن عدد الاطباء الذي سجلته المصادر قليل جداً بالمقارنه مع أعداد الفقهاء والمحدثين والعلماء والأدباء والمتصوفة بالمغرب الأوسط وأن ما ذكره الغبريني يوضح الحالة الطبيه بالمغرب الأوسط في القرن السابع الهجري بقوله: "وهذه الصناعة هي أشد الصنائع ضياعا في بلادنا لأنه يتعرضها الغث والسمين ولا تقع بينهما التمييز إلا عند القليل من الناس"[١١،ص١٠٢].

ضعف الدولة الزيانيه وأثرها على حياة الناس:

يمكن القول أن الضعف الذي أصاب الدولة الزيانية قد أثر في أحوال الناس فزاد الصراع بين القبائل من عرب وبربر ووقع الضعف في شعوب المغرب الأوسط وقبائله فيها فوقع عليهم من الفتن وتعدد الحروب بين رؤوساء القبائل على الرئاسة، وقد تضررت الناس بهذه الأوضاع السياسية التي أصبحت تتخبط فيها الدولة الزيانية في عهد السلطان أبي حمو موسى الثالث (١٥١٦-١٥٢٨م) وخصوصا التجار والحرفيون الذين فرضت عليهم الضرائب للإنفاق منها على رعايا السلطان وجنوده، وأدى عمله هذا إلى أن يتعرض إلى مجموعة من الانتقادات التي وجهها إليه العلماء لأنهم رأوا أن فرض هذه الضرائب لا يتماشى مع الشريعة الإسلاميه لأن جزءاً منها كان يعرف في رفاهية السلطان[٣١،ص١٢٣].

وأن جور أمراء السلطة الزيانية فى هذه المدة (أي مدة ضعف الدولة الزيانية) لم يكن مقتصراً على الناس فقط بل امتد إلى أمرائها فكل أمير يتصدى للسلطة يعمد إلى قتل المعارضين له أو الزج بهم في السجن وعمد هذا السلطان إلى مصادرة ذوي اليسار من أهل تلمسان وأهل الفضل منهم وهو ما أدى ببعضهم إلى الهجرة نحو المغربين الأدنى والأقصى وحتى بلاد المشرق الإسلامي.

وهذا الظلم بحق الناس يؤكده كاربخال بقوله: "واشتدت الوطأة على الناس وضاقت مذاهبهم وتفرقت أعيانهم بالنواحي[٣١،ص١٢٤] وهكذا فإن هذا الظلم الذي تعرض له الناس جعلهم يؤيدون التدخل العثماني في ما بعد في شؤون الدولة وهو ما أكده السلماني بقوله: " امتد نفوذ عروج وخير الدين إلى بلاد آل زيان، فزاد هذا الأمر بأس سائر الرعية واعتنقت طاعة الجيش العثماني حفظا من ظلم الزيانيين[١٢،ص١٠١].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

النتائج:

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث يمكن أن نوجزها بالآتي:

١- عرف عن المجمع المغربي في العهد الزياني تمايزاً في طبقاته الاجتماعية ابتداء من السلطان أو الحاكم ومروراً بمختلف فئاته الاجتماعية كما كان لبني عبد الواد مكانه خاصة في الدولة الزيانية فإليها ينتمي يغمراسن بن زيان (٦٣٤ه/١٢٢٦م) أول الأمراء الزيانين فضلا عن الطبقة الخاصة وهي الأسرة الحاكمة التي تضم سلاطينا وأمراء بني عبد الواد وأبناء عمومتهم والحجاب والوزراء وكتاب الدواوين كانت تتمتع بحقوق وامتيازات كبيرة وتعيش حياة مترفة تتصدر بموجبها طبقات المجتمع الأخرى.

٢ – لطبقة الأشراف مكانة مرموقة بين فئات طبقات المجتمع الزياني فقد كانت لهم قوة وسطوة في النفوس ولهم عدة حقوق وامتيازات اتخذت أشكالاً متعددة ومتنوعة ومنها الرعاية المادية وتوليهم للوظائف الإدارية والخطط الشرعية فضلاً عن تولي بعضهم مهام دبلوماسية كسفراء لحمل الرسائل وإعفائهم من الضرائب المفروضة على السكان وغيرها من الحقوق والامتيازات الأخرى.

٣ – هناك إشارات وتلميحات إلى وجود مؤسسة نقابة الاشتراف وهي بمثابة الفضاء الرسمي والروحي لهذه الفئة التي تعمل على حفظ ورعاية حقوقهم والدفاع عن مصالحهم المادية والمعنوية.

٤- إن الحقوق والامتيازات التي نالتها طبقة الأشراف في الدولة الزيانية لم يمنع قيام بعض أفراد هذه الطبقة من اتخاذ موقف المعارضة للسلطة الزيانية بصورة غير مباشر فاتخذ طابعاً فردياً.

٥- تبين لنا دعم سلاطين الدولة الزيانية للحركة العلمية، فقد عملوا على تشجيع العلم والعلماء وإعطاء حقوقهم وقيامهم بإنشاء المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا، وإعطاء المرتبات والمنح الشهرية للأساتذة وتخصيص مراكز لإيواء الطلبة واسناد مهمة التدريس لأبرز العلماء والفقهاء.

٦ – كانت للعلماء والفقهاء مكانة خاصة عند السلاطين الزيانين وكانوا يتمتعون بحقوق ومكانه رفيعة في المجتمع الزياني حتى أنهم كانوا من المقربين للسلاطين الزيانين وكان يطلق عليهم بـــ (الرياسة) وألقاب أخرى كثيرة.

٧ – نظراً إلى أهمية حقوق الإنسان فقد أولى الدين الإسلامي لهذا الجانب اهتماماً يوازي أهميته في المجتمع فوضع القوانين والأحكام والتشريعات والضوابط المتعلقة بحياة الفرد الأنسانية، وهذا الدور قام به العلماء كونهم ورثة الأنبياء وقد اوجب الله عليهم بيان حق للناس وحرم عليهم كتمانه.

٨- بعد الأوضاع السيئة التي عاشها اليهود وتعرضهم إلى الاضطهاد والتضييق في حكم الموحدين عاد اليهود لتبوأ مكانة هامة داخل التركيبة الاجتماعية لدولة بني زيان مستغلين التسامح الديني في ظل الحكومات الناشئة الجديدة في بلاد المغرب بعد سقوط الموحدين، حتى شكلت طائفة اليهود أكثرية ساحقة في بعض مدن المغرب العربي وكانوا يؤدون شعائرهم الدينية في حرية تامة وكان لهم دورهم أيضا في الحياة السياسية داخل البلاطات الملكيه نظراً لاتصالم السري بالحاشية والأسر الملكية.

٩- وفرت السلطة الزيانية كل الظروف المطلوبة لليهود وأصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعي وخاصة في مدينة تلمسان حاضرة الزيانين وشكلوا بذلك نموذجا لتسامح والتعايش.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

١٠- أولى سلاطين الدولة الزيانية أهتمامهم بالجوانب الحياتية الخاصة بالرعية فكانت سياستهم الاقتصادية تهدف لحفظ حقوق الإنسان وحرياتهم الاقتصادية المحددة شرعاً فقد أولت الدولة الزيانية اهتماماً بفئة التجار التي تمتعت بجملة من الحقوق والامتيازات.

١١ – أما فئة العوام والي تشكل أغلبية السكان وتضم كل من الفلاحين وأصحاب المهن والصناعات وصغار التجار والعاطلين عن العمل والمعوزين فيبدو أن حالهم أفضل وخاصة في مدينة تلمسان حاضرة الزيانين وعلى المستوى المعاشي إذا ما قورنت بينهم وبين سكان المدن في المغرب الأقصى.

١٢- تمتع المهاجرون الاندلسيون الذين جاؤوا إلى المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية بحقوقهم في السكن وحق تملك الأراضي الزراعية وشغل قسم منهم مناصب هامة في الدولة الزيانية، مثل أسرة الملاح وهلال القطلاني وكذلك ابن وضاح.

١٣- لقد تمتعت المرأة في عصر الدولة الزيائية بحقوقها وواجباتها كما نص عليه الشرع، فكانت لها مكانة في مجال السياسة ومنها (سوط النساء) أم يغمراسن بن زيان، فضلاً عن نيل حقها في التعلم فكانت تدرس في الكتاتيب، ومن أبرز الشخصيات النسائية المثقفه السيدة فاطمة بنت أبي زيد النجار وكذلك الشيخة الصالحة عائشة بنت الأكحل وغيرها.

١٤ – تعد ظاهرة زيارة الأولياء الصالحين من بين الظواهر التي كانت منتشرة في بلاد المغرب المغرب العربي في عهد الدولة الزيانية، وهو ما يؤكد حق ممارسة الشعائر الدينية، كما كان لفئة المتصوفة مكانة هامة في المغرب في عهد الزيانين حتى أن سلاطين الدولة كانوا يستقبلون المتصوفين.

١٥- كان لسلاطين الدولة الزيانية دورهم في الاهتمام بالجانب الصحي للرعية بقيامهم ببناء مؤسسة البيمارستانات وما تقدمه من الاهتمام بالمرضى ووصف الدواء المناسب لهم، وكانت هذه البيمارستانات ملاجئ خيرية أثناء المجاعات فكان يأوي إليها غالبية الفقراء والمساكين.

١٦- أثر ضعف سلاطين الدولة الزيانية في أحوال الناس التي تضررت بهذه الأوضاع السياسية وخصوصا التجار والحرفيين الذين فرضت عليهم الضرائب، ولجأ أمراء السلطة الربانية إلى قتل المعارضين لهم أو الزج بهم في السجون وهو ما اضطرهم إلى الهجرة إلى المغربين الأدنى والأقصى وحتى بلاد المشرق الإسلامي. وجعلهم هذا الظلم الذي تعرض له الناس يؤيدون التدخل العثماني في ما بعد في شؤون الدولة.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

[١] العتبي، محمد سعيد ومحمد حسن العامري، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، بغداد، ٢٠٠٢.

[٢] الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت٧٢٧ه/١٣٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة من التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٣] التنسي، محمد بن عبد الله، تاريخ بن زيان ملوك تلمستان مقتطف من كتاب نظم الدر العقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بو عياد، الجزائر، ١٩٨٥.
[٤] ابن خلدون، أبو زكريا يحيى(ت٧٨٠ه/١١٢٧م)، بغية الرواد في ذكر ملوك عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠.
[٥] فيلالي، عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، ٢٠٠٢.
[٦] الميلي، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦.
[٧] ابن عباد، محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٨٢.
[٨] الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦ه/١٢٦٦م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧.
[٩] حساني، مختار، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، ٢٠٠٩.
[١٠] الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي(ت٧٠٤ه/١٣٠٤م)،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١.
[١١] بوقلي، حسن جمال الدين، محمد بن يوسف، في الذاكرة الشعبية وفي الواقع، الجزائر، ٢٠٠٢.
[١٢] ابن صعدة الأنصاري، محمد(ت ٩٠١ه/١٤٩٥م)، روضة النسرين بالتعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق د. يحيى بو عزيز، عالم المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٩.
[١٣] فتحه، محمد، الائتمان المتبادل في علاقة الولي بالسلطان، منشورات كلية الآداب، ط٢، الرباط، ٢٠١٢.
[١٤] المكناسي، أبو عبد الله محمد بن أبي غالب، نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم في حقوق آل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام، المطبعة الجديدة، فاس، ١٨٩٨.
[١٥] المقري، أحمد بن محمد التلمساني(ت١٠٤١ه/١٦٣١م)،أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وابراهيم، الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩.
[١٦] مؤنس، حسين، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح إلى الغزو الفرنسي، ط١،العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١٩٩٢.
[١٧] حاجيات، عبد الحميد، دراسة حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠١.
[١٨] حماني، أحمد، عباقرة من رجالنا تزهر بهم عواصم صنهاجة، مجلة الاصلة، الجزائر، العدد١٩، ١٩٧٤.
[١٩] الفريد، بل،الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي،ترجمة: عبد الله بدوي، ط٣، دار الغرب الإسلامي، ١٩٧٧.
[٢٠] ابن عذارى المراكشي، أبو العباس احمد بن محمد(ت بعد٧١٢ه/١٣١٢م)، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، ط١، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥.
[٢١] شقور، محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٢٢] المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩.
[٢٣] السائح، الحسن، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦.
[٢٤] أبو مصطفى، كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريبي، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٦.
[٢٥] السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد بن محمد، الاستقصى لأخبار المغرب الأقصى، تح: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء(د. ت).
[٢٦] بشير، عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي، ط١، دراسات وبحوث إنسانية واجتماعية.
[٢٧] كاربخال، مرمور، أفريقيا، ترجمة: محمد الحجي وأخرون، دار المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤.
[٢٨] هيكل، أحمد الشحات، يهود المغرب، الرباط، ٢٠٠٧.
[٢٩] المصري، عبد السميع، مقومات الاقتصاد الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٥.
[٣٠] ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف ابو الوليد(ت٨٧٠هـ/١٤٠٤م)، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة دار المكتبة الثقافية، ٢٠٠١.
[٣١] القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت،(د–ت).
[٣٢] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٣، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦.
[٣٣] ابن أبي زرع الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله(ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، الذخيرة النسبية في الدولة المرينية، تح: محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩٢٠.
[٣٤] ابن مرزوق، محمد، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، الجزار، ١٩٨٧.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq